التفسير العلمي بين القبول والرد "عرض ودراسة "

عبد السلام حمدان اللوح

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، غزه، فلسطين

Scientific Interpretation of the Holy Qura'n between Approval and prefusal

Abstract :

This study deals with the scientific interpretation of the Holy Qura'nic verses. this interpretation is intended to be a clear-cut evidence that the Holy Qura'n was revealed by Allah (SWT) and thus could lead to the guidance of non-Arabic speakers. To clarify the contradictory opinioüns of scholars who approve or disapprove such interpretation , four different opinions of proponents and opponents are illustrated. The study concludes with some rules and guidelines that control scientific interpretation.

الملخص :

هذا البحث يتناول لوناً من ألوان التفسير لكتاب الله تعالى ، وهو التفسير العلمي الذي يتوخى التوافق والتطابق بين الحقائق العلمية والآيات القرآنية ، ليكون ذلك دليلاً قاطعاً على أن القرآن كلام الله ومن عنده ، وهو السبيل لهداية الذين لا يتكلمون العربية.

ركز البحث على آراء العلماء من حيث القبول والرد ، حيث تم استعراض أربعة نماذج لكل من المعارضين والمسرفين والمعتدلين ، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

وقد تم مناقشة آراء المعارضين والمسرفين مع وضع بعض القواعد والأسس والضوابط التي ينضبط بها القول بالتفسير العلمي.

مقدمة

الحمد لله الذي جعل كتابه هداية للبشرية جمعاء ودليلاً على صدق النبوة ، وأصلي وأسلّم على

خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فإن التفسير القرآني هو واجب إيماني ، وتكليف شرعي يخدم كتاب الله ، وللتفسير مناهجه وألوانه الكثيرة والمتعددة ، وإن التوافق بين الحقائق العلمية والآيات القرآنية هو لون من ألوان التفسير القرآني ، وهو دليل قاطع على الوحي والنبوة وأن القرآن كلام الله ومن عنده وهو سبيل لهداية الذين لا يتكلمون العربية ، ولا يدركون ذلك الوجه اللُغوي في القرآن الكريم.

ومعلوم أن لغة اليوم هي لغة العلم والكشف والاختراع، فهي الأساس والمعتمد والمحور الرئيس للتفاهم وتبادل الآراء، وقد نالت هذه اللغة الصدارة في معظم الميادين والأصعدة، وقد أثبتت جدارتها وأصالتها في الوصول إلى الأهداف والغايات التي يصبو إليها كل طموح مقدام.

والتفسيرالعلمي هو أحد فروع هذه اللغة النابعة من كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهي لغةٌ عامة لكل من طرق أبواب العلم والمعرفة، ليدرك الجميع ذلك الدليل القاطع الذي يُثبت بلا شك ولا ريب أن القرآن كلام الله ومن عند الله ويستحيل على الإنس والجن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً، قال تعالى: " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ... " (1)

وهذه والحقيقة يقرُّ بها كلُّ عاقل حكيم لا يركن إلى إفراط أو تفريطٍ ، ومع ذلك فقد وُجد مَن أنكر هذا الأمر، ولعل ذلك نتيجةٌ لإفراط المسرفين الذين تجاوزوا الحد المعقول في الميل إلى التفسير العلمي القرآني فكانت ردة الفعل المعاكسة المتمثلة في موقف المنكرين.

ومن الحق والإنصاف في هذا المقام أن نستعرض أبرز الأقوال والآراء للفريقين المتقابلين في هذا الميدان لنرى مدى ذلك القبول أو الرد من خلال ما كتبوا وقالوا، ليكون ذلك أقرب للتقوى، وأبعد عن التقول على أحد.

ومع هذا الاستعراض يكون الحوار والمناقشة لأقوالهم وأدلتهم ليتبين الحق والعدل، ثم نتبع ذلك بعرض أبرز الآراء والأقوال للمعتدلين الذين اتخذوا موقفاً حقاً وسطاً.

وفي الختام نرسي الأسس والقواعد والضوابط التي تضبط القول بالتفسير العلمي، بما يحقق صيلأ وتقعيد هذا اللون من التفسير لكتاب الله تعالى . وتحقيقاً لهذا الهدف وتلك الغاية فقد وضعت التصور المبدئي لهيكلية البحث وهي موجزة فيما يلي:

مقدمة: توضح أهمية موضوع البحث وسبب اختياره وما تشتمل عليه الدراسة من مباحث.

بين يدي البحث: وقد جعلته لتعريف المصطلحات التي ستدور أثناء البحث.

المبحث الأول: المعارضون للتفسير العلمي.
أذكر فيه أربعة نماذج لهؤلاء المنكرين وذلك بعرض أقوالهم مع مناقشتها.

المبحث الثاني: المسرفون في التفسير العلمي.
أذكر فيه أربعة نماذج لهؤلاء المسرفين وذلك بعرض أقوالهم مع مناقشتها.

المبحث الثالث: المعتدلون في القول بالتفسير العلمي.
أذكر فيه أربعة نماذج لهؤلاء المعتدلين وذلك بعرض أقوالهم.

الخاتمة: أذكر فيها خلاصة البحث مع تأصيل نظرية التفسير العلمي للقرآن الكريم و وضع الأسس والقواعد والضوابط لها.

بين يدي البحث

وفيه تعريف لبعض المصطلحات المتداولة أثناء البحث؛ **وهي** :

(النظرية العلمية - الحقيقة العلمية - التفسير العلمي)

1- النظرية العلمية:

تعريفها مجموعة فروض قابلة للتعديل والتغيير والتطور وتقبل إضافة عناصر تفقدها . ومجالها يُعمل بها في مجال التنبؤ بما يجد من ظواهر وعلاقات ، أو تفسير ظاهرة علمية

سبق أن أثيرت حولها شكوك في التنظير(2).

2- الحقيقة العلمية :

تعريفها: هي الوصف الصادق الأمين لأية ظاهرة ، أو حتى لأي جانب منها(3).

ويُفهم من التعريف أن الحقيقة العلمية هي نهاية ما وصل إليه العلم بصورة قاطعة وتكون غير قابلة للنقاش والاعتراض.

3- التفسير العلمي :

سيظهر لنا أثناء البحث أن بين العلماء تبايناً في الآراء من حيث قبول التفسير العلمي أو رفضه، وسأذكر تعريف كل فريق فالمؤيدون له عرفوه بقولهم:

"هو أن يفهم المسلمون في كلِّ عصر من العصور النص القرآني حسب عقولهم، وحسبما تزودت تلك العقول من ثقافات علمية تختلف من عصر إلى عصر"(4).

أما المعارضون للتفسير العلمي فقد عرفوه بقولهم : " هو التفسير الذي يتوخى أصحابه إخضاع عبارات القرآن للنظريات والاصطلاحات العلمية ، وبذل أقصى الجهد في استخراج مختلف مسائل العلوم والآراء الفلسفية منها " (5)

وهذا الخلاف في التعريف أمر طبيعي ، فكل يعرّف حسب توجهه من حيث القبول أو الرد للتفسير العلمي ، وسيظهر ذلك أثناء استعراض آراء كل فريق منهم.

المبحث الأول

المعارضون للتفسير العلمي

إن المعارضين للتفسير العلمي جمعٌ لا يُستهان به، ولهم آراؤهم وأدلتهم التي يستندون إليها ويعتبرونها حاسمة في الدلالة على ما ذهبوا إليه من إنكار واستبعاد لهذا اللون من التفسير القرآني ، وهم متفاوتون فيما بينهم في المعارضة والإنكار ، ولن أستطيع في هذه العجالة

الموجزة أن أقف مع الجميع عرضاً لأدلتهم ومناقشة لها ، ولذلك سنقف مع أربعة نماذج على سبيل المثال لا الحصر.

أولاً : رأي أبي إسحاق الشاطبي (6):

لعل الشاطبي من أشد المعارضين القدامى للتفسير العلمي ، فقد ذكر في كتابه "الموافقات في أصول الشريعة في" النوع الثاني من المقاصد في المسألة الثالثة مـ نها أميّة الرسالة، وذلك حيث يقول:

هذه الشّريعة المباركة أُمية لأن أهلها كذلك، فهو أحرى على اعتبار المصالح "(7) ، وقد استدل الشاطبي على ذلك بالآيات والأحاديث الدالة على أُميته صلى الله عليه وسلم، وبدليلين عقليين كذلك (8).

ثم يرتب الشاطبي على هذه المقدمة أمور اً وقواعد ، وذلك حيث يقول: "ما تقرر من أُمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها -وهم العرب- ينبني عليه قواعد منها:

أن كثيراً من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحدَّ، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين، من علوم الرياضيات، والتعاليم، والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نَظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها، وهذا إذا عرضناه على ما تقدم لم يصح.

وإلى هذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم - كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أُودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا المدعى، سوى ما تقدم (9)، وما ثبت فيه من أحكام التكاليف، وأحكام الآخرة، وما يلي ذلك ولو كان عندهم في ذلك خوض ونظر لبلغنا منه ما يدل على أصل المسألة، إلاّ أن ذلك لم يكن، فدل على أنه غير موجود عندهم، وذلك دليل على أن القرآن لم يقصد فيه تقرير لشيء مما زعموا.

نعم قد تضمن علوماً من جنس علوم العرب ، أو ما ينبني على معهودها مما يتعجب منه أولو الألباب.. أما أن فيه ما ليس من ذلك فلا " (10) .

إلى أن يقول : "ويجب الاقتصار في الاستعانة على فهمه على كل ما يضاف علمه إلى العرب

خاصة، فبه يوصل إلى علم ما أودع من الأحكام الشرعية، فمن طلبه بغير ما هو أداة له ضل عن فهمه، وتَقوَّل على الله ورسوله فيه.

ومنها: أنه لا بد في فهم الشريعة من إتباع معهود الأميين -وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم- فإن كان للعرب في لسانهم عُرفٌ مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثمَّ عُرف فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه" (11).

مناقشة رأي الشاطبي:

إن الاستدلال على أُمية الرسالة بأُمية الرسول r غير مُسلَّم به، فأُمية النبي r أبلغ في إثبات الوحي والنبوة مما لو كان قارئاً وكاتباً ، فلا يُتصور من رجلٍ أُمِّي لا عهد له بالقراءة والكتابة أن يأتي بمثل هذا القرآن إتقاناً وتحقيقاً وإخباراً وتشريعاً وعلوماً يصعب حصرها، فدل ذلك على أن هذا القرآن هو كلام الله ومن عنده، ويعجز الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

إذن لا علاقة بين أُمية النبي r وأُمية الرسالة إلاّ من حيث المزيد من إثبات مصدر هذا القرآن الكريم.

وكذا الاستدلال بأُميّة العرب يوم نزول القرآن على أُميّة الرسالة قولٌ مردود لأن القرآن لم ينزل لأمةٍ واحدةٍ أو قرنٍ واحد، بل نزل لجميع الأمم في شتى القرون المتعاقبة، ليأخذ كلُّ جيل من هَدْيه ما يناسب استعداده وثقافته (12)، وقد رد ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير" في المقدمة الرابعة على ما استنتجه الشاطبي من قواعد مبنية على أُميّة الشريعة، وكان الرد من ستة وجوه، وهو ردٌ حاسمٌ وشافٍ ولولا ضرورة الإيجاز لذكرناه بنصه لتتم به الفائدة (13).

وقد ناقش الدكتور محمد الصادق عرجون الدليلين العقليين اللذيْنِ استدل بهما الشاطبي على أميّة الرسالة وأثبت أنهما حجة على الشاطبي وليسا حجة له فيما ذهب إليه(14).

ثانياً: رأي الدكتور محمد حسين الذهبي(15):

ونجد الدكتور الذهبي في كتابه "التفسير والمفسرون" يستعرض رأي الشاطبي ويميل إلى رأيه وأدلته ويضيف الذهبي أدلة أخرى يدعم بها رأي الشاطبي في إنكاره للتفسير العلمي ، وقد عبَّر عن الأدلة التي زادها بالناحية اللغوية والناحية البلاغية والناحية الاعتقادية.

وسنعرض لهذه النواحي الثلاث بشيء من الإيجاز مع مناقشة هذه الأدلة جملة بُعداً عن التكرار وتحقيقاً للفائدة.

1- الناحية اللغوية:

موجزها:أن للألفاظ معانيَ منها ما هو حادث باصطلاح أرباب العلوم والفنون، ومنها معانٍ لغوية، وهناك معانٍ شرعية، وهناك معانٍ عرفية، وكلها تقوم بلفظ واحد وبعض هذه المعاني يعرفه العرب وقت نزول القرآن، وبعضها لا علم للعرب به وقت نزول القرآن بسبب حدوثه وطروئه على اللفظ، فهل يُعقل بعد هذا التوسع في المعاني أن نفهم ألفاظ القرآن بمعاني حادثة لا تعرفها العرب؟..

2- الناحية البلاغية:

موجزها: أن البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومعلوم أن القرآن في أعلى درجات البلاغة، فإذا ذهبنا مذهب القائلين بالتفسير العلمي وحمّلنا ألفاظ القرآن معانٍ مستحدثة فإن ذلك يترتب عليه إما الخدش ببلاغة القرآن لأنه لم يراع حال المخاطب يوم نزول القرآن وهم العرب، وإما الطعن بفطانة العرب لكونهم لم يعرفوا هذه المعاني ولم تظهر لهم نهضةٌ علميةٌ بسبب ذلك وهذا سلبٌ لأهم خصائص العرب ومميزاتهم..

3- الناحية الاعتقادية:

موجزها: أن القرآن باقٍ إلى قيام الساعة، وهو يخاطب عقول الناس جميعاً، فإذا ذهبنا مذهب مَن يُحمّل القرآن كلّ شيءٍ من العلوم المختلفة فقد أوقعنا الشك في عقائد المسلمين نحو القرآن الكريم، لأن قواعد العلوم ونظرياته لا قرار لها ولا بقاء، فكل يوم يجدُّ جديد مما قد يوقع

التنافي والتضاد، فهل يُعقل أن نُحمّل القرآن كلَّ هذه النظريات والقواعد العلمية؟ وهل يُعقل أن يُصدق مسلمٌ بالقرآن بعد ذلك؟..

وليعلم أصحاب هذه الفكرة أن القرآن غني عن هذا التكلف الذي يخرجه عن هدفه الإنساني الاجتماعي في إصلاح الحياة، ورياضة النفس، والرجوع بها إلى الله تعالى (16).

مناقشة رأي الذهبي وأدلته:

أليس كتاب الله لكل العصور والأجيال؟ وعليه فلا بُدّ أن يعالج قضايا كل عصر بما يمتاز به من معارف وعلوم وثقافة، كيف لا يكون كذلك وهو الذي لا يَخْلَقُ على كثرة الرد؟ ولو قصرنا معانيه على ما تعهده الأمة الأميّة لما صلح لغير زمن نزوله، ولأصبح يَخْلَقُ على كثرة الرد بوقوفه عند حدّ لا يتجاوزه.

ألم يصفه عليه الصلاة والسلام بأن فيه{نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم } (17)؟ فكيف يكون فيه حكم ما بيننا ونحن في عصر العلم والمعرفة؟ وكيف يكون فيه خبر ما بعدنا بقرون كثيرة إذا أطرنا معاني ألفاظه على ما كان معروفاً زمن نزوله دون سائر العصور؟ وأما الدليل البلاغي فمردود بما هو معلوم من صلاحية القرآن لكلِّ العصور إلى قيام الساعة، وعليه فيجب أن يفهمه أهل كل عصر بما يتلاءم مع أفهامهم وتصوراتهم ومعارفهم، وهذا هو كمال البلاغة، فهل مع هذا الكمال يكون خدش للبلاغة؟ وليس في ذلك ضياع لفطانة العرب ، فالله لم يكلفهم إلاّ بما تدركه أفهامهم، وكل عصر مُكلف بما لديه من قدرات ومعارف، وبهذا فقد جعل الله كتابه نبعاً فياضاً لا ينتهي خيره، ولا يجف عطاؤه، يصلح لكل زمان وعصر، وبهذا فلا نحجر على عقول أهل العصور كلّها فلا تفهم من القرآن إلاّ ما فهمته عقول العرب يوم نزوله، فلكل عصر علومه واختراعاته.

وقد وعد الله سبحانه بأنه سيكشف لنا عن آياته الكونية بما يتوافق مع آياته القرآنية لندرك أن القرآن هو كلام الله ومن عنده، قال تعالى : (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ

لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) (18)

وأما دليله الاعتقادي فمردود أيضاً بما هو معلوم من أن مسايرة القرآن لكل مراحل الزمن تقتضي أن تكون أدلة مصدره تساير حياة الناس في كل عصر وزمن ، وذلك بما فيه من إشارات علمية تتفق مع ما أثبته العلم الحديث من حقائق ثابتة، وهذا يزيد من ثبات عقائد المسلمين، ويثبت مصدرية هذا القرآن وأنه ليس من عند بشر، إذ كيف يُعقل أن يأتي رجل أميٌّ بمثل ما في القرآن من إشارات وحقائق علمية يكشف عنها العلم بعد أربعة عشر قرناً ونيف إلاّ أن يكون ذلك من عند الله.

ومخطئٌ من ظنّ أن القرآن كتاب طب أو هندسة أو غيرها من العلوم، لأن ذلك إفراط وتجاوز للحد المعقول، ومع ذلك لا نريد ردودَ فعلٍ معاكسة فنفرط فيما أشار إليه كتاب الله من حقائق وعلوم لم تكن معروفة في زمن نزوله.

ولا نقول بأنه يجب التوفيق بين كل ما يظهر من نظريات علمية وبين القرآن الكريم، ولا نقول ما من نظرية تظهر إلاّ ولها إشارة في القرآن، فهذا تكلّفٌ ننزه عنه كتاب الله تعالى، لكن إن توافق ظهور نظريةٍ علميةٍ مع نص آية قرآنية، فما الذي يمنع أن نستأنس بهذه النظرية لا على سبيل القطع والجزم بأن مراد الله هو هذه النظرية، فإن أصبحت هذه النظريةُ حقيقةً فهذا دليل على صحة التفسير العلمي ، وإن ثبت خلاف ذلك فلا يضير القرآن شيء، فهو أصل، وكل العلوم توابع.

يقول الدكتور عبد الغني عبود : "إن الخلاف بين القرآن الكريم وحقائقه العلمية وبين العلم الحديث خلاف يَشْرُفُ به القرآن، ولا يقلل من قدره بأيّ مقياس من المقاييس يمكن أن يقاس به التشريف، لأن فساد منهج العلم فيما يتوصل إليه من حقائق يخالف بها القرآن يقلل من قيمة الحقائق التي يقول بها العلم، لا من قيمة الحقائق التي يقول بها القرآن" (19).

وفي هذا المقام يقول الدكتور منصور محمد حسب النبي (20): "فإذا كانت الحقيقة العلمية تتفق

مع نص الآية القرآنية، فما الذي يمنع عقلاً وشرعاً من تفسير الآية طبقاً لتلك الحقيقة العلمية الثابتة القاطعة، ولا سيما أن العصر الذي نعيش فيه الآن عصر مادي لا يؤمن بغير لغة العلم وسيلة للتخاطب فضلاً عن الإقناع .. لذلك فإن علينا نحن المشتغلين بالعلم أن نبرز التفسير العلمي للقرآن تيسيراً للدعوة إلى الإسلام في هذا العصر" (21) .

وفي الختام يرى الذهبي أن القرآن غني عن هذا التكلّف الذي يخرجه عن هدفه .. فما مراده بهذا التكلّف يا تُرى؟ إن قصد به ليَّ عنق الآية أو الحقيقة العلمية ليتم التوفيق بينهما فلا خلاف في رفض هذا المنهج لأنه لا يليق بكتاب الله تعالى.

وإن أراد بالتكلف ذلك الاستئناس بالعلم الحديث في فهم الآيات القرآنية بما فيها من إشارات وحقائق أثبتها العلم الحديث فهنا الخلاف لأن القرآن كتاب هداية وإعجاز معاً، بخلاف الكتب السماوية السابقة.

وعلى ذلك فلا نعتبر البحث في التفسير العلمي تكلفاً ولا خروجاً عن هدفه لأنه يحمل في آياته وسوره ما يثبت صدق الوحي والنبوة على مرِّ الزمن ولكل الأجيال إلى قيام الساعة.

ثالثاً: رأي شيخ الأزهر محمود شلتوت (22):

يُعدُّ الشيخ شلتوت من المعارضين لتفسير القرآن على مقتضى النظريات العلمية ، وقد أثبت ذلك فيما كتبه بمجلة الرسالة، وأثبته كذلك في مقدمة تفسيره للأجزاء العشرة الأولى، ونجده يحدد القضية في مقدمة، ثم يستدل عليها بأدلة عقلية، أما المقدمة فإليك موجزها حيث يقول:

فإن طائفة من المثقفين قد تلقفوا شيئاً من النظريات العلمية والفلسفية وأخذوا يفسرون آيات القرآن على مقتضاها، أخذوا بقول الله تعالى : [.. مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ..] (23) فطبقوا آياته على ما وقفوا عليه من قواعد العلوم الكونية، فظنوا أنهم بذلك يخدمون القرآن، وبذلك أفضوا إلى صور من التفكير لا يريدها القرآن، ولا تتفق مع الغرض الذي أنزله الله لأجله.. ويستدل على خطأ هذا الاتجاه بأدلة إليك موجزها:

هذه النظرة خاطئة، لأن الله لم ينزل القرآن ليتحدث فيه عن نظريات العلوم وأنواع المعارف، وهي خاطئة لأنها تحمل أصحابها على تأويل القرآن بتكلف يتنافى مع الإعجاز، وهي خاطئة لأنها تعرض القرآن للدوران مع مسائل العلوم في كل زمان ومكان، والعلوم لا تعرف الثبات ولا الرأي الأخير، وبهذا يتحمل القرآن تبعات الخطأ في هذه النظريات، ولا يسهل الدفاع بعد ذلك، فلندع للقرآن عظمته وجلاله، ولنحفظ عليه قدسيته ومهابته، وما فيه من الإشارات العلمية إنما هي بهدف أن يزداد الناس إيماناً مع إيمانهم (24).

مناقشة المقدمة: كأن الشيخ أراد أولئك الذين يرغمون الآيات على أن توافق نظريات العلم الحديث، وهذا أمرٌ مشين لا يجوز في حق كتاب الله تعالى.

لكن مطلق التوفيق بين الآيات القرآنية والحقائق العلمية دون إرغام للآية أو الحقيقة فهذا مما لا يضير القرآن، بل فيه دليل الوحي والنبوة مع كل عصر، وكيف يمكن أن تفسد العلاقة بين هؤلاء الناس وبين القرآن؟ وكيف يمكن أن يكون هذا التفكير لا يريده القرآن؟ وكيف لا يتفق هذا مع الغرض الذي من أجله أنزله الله؟ أليس هذا القرآن كتاب هداية وإعجاز؟ أليس توافق القرآن مع حقائق العلوم والمعارف بما يتلاءم مع طبيعة العصور والأزمان- مما يخدم كتاب الله؟

مناقشة الأدلة:

كيف يكون الحكم بأن هذه النظرة العلمية للقرآن الكريم خاطئة بلا شك؟ إن الدليل لا يقوى على إثبات الدعوى، فمن المُسلّم به أن في القرآن إشارات وحقائق علمية، ولم يقل أحد أن القرآن إنما جاء لتحقيق هذه النظريات والعلوم سوى مَن ننكر عليهم الإفراط في هذا المجال.

وإن إنكار التكلف حق مُسلمٌ به، لكن من لا يتكلف في ربطه بين الآيات والحقائق العلمية مع وجود التوافق والتطابق بينهما، أعتقد أن ذلك مما يقبله العقلاء، وإلا فهو التكلف، وأما تغيّر العلوم وعدم ثباتها، فهذا صحيح ولكنه لا يمثل طعناً في القرآن ، وقد أشار لذلك الأستاذ أحمد

الشرباصي حيث يقول : "ومن أسرار القرآن الكريم أنه يستعمل الكلمة الجامعة الحاوية لكثير من المعاني الصالحة لعديد من التفسيرات، مما لا يناقض بعضه بعضاً، بل مما ترتضيه العقول، وتطمئن به القلوب، وتصلح به أحوال الذين أنزل إليهم في مختلف العصور والدهور والبيئات والمجتمعات.." [25].

ويقول الدكتور منصور محمد حسب النبي : "وإني لأتعجب من المهاجمين للتفسير العلمي حالياً بدعوى أن العلم يتغير، وهذه مغالطة لأن العلم الصحيح لا يتغير لأن نتيجته ثابتة ثبوتاً قطعياً . ويمكن القول بأن العلم الآن في نهاية القرن العشرين يتطور دون أن يتغير في حقائقه الأساسية الثابتة " [26].

فليس إذن ما يثبته العلم اليوم يصبح خرافة غداً ما دامت تقوم على أسس علمية صحيحة، ولكن العلم يتقدم ويتطور، والقرآن لا يتقلب بتقلب النظريات، ولكن طبيعة ألفاظه وآياته تحتمل كل العصور ما لم تشذ عن الصواب إلى الخرافة.

وقد أشار الرافعي إلى هذا المعنى في قوله ".. إننا نرى أسلوب القرآن من اللين والمطاوعة على التقليب والمرونة في التأويل بحيث لا يصادم الآراء الكثيرة المتقابلة التي تخرج بها طبائع العصور المختلفة، فهو يُفسَّر في كل عصر بنقص من المعنى وزيادة فيه، واختلاف وتمحيص.. وأثبتت العلوم الحديثة كثيراً من حقائقه التي كانت مُغيَّبة، وفي علم الله ما يكون من بعد" [27].

وفي الاعتدال مع كتاب الله بعيداً عن التفريط والإفراط فيتفسيره العلمي المتجدد مع الزمن كمال العظمة والجلالة له، وفي ذلك أيضاً كمال القدسية والمهابة للقرآن الكريم.

رابعاً: رأي الدكتور شوقي ضيف [28]:

الدكتور شوقي من أهل هذا العصر، وهو من المنكرين للتفسير العلمي، حيث يرى ذلك ابتعاداً عن هدي القرآن وجنوحاً به عن الجادة، وذلك حيث يقول :"وقد تلت الشيخ الإمام [29] تفاسير

كثيرة منها ما اهتدى بهديه ، ومنها ما خاض في مباحث علمية كنت ولا أزال أراها تجنح عن الجادة، إذ القرآن فوق كل علم .. وهو لم ينزل لبيان قواعد العلوم ولا لتفسير ظواهر الكون.. وإنما يراد به بيان حكمة الله .. ولكن التحول بالقرآن إلى كتاب تستنبط منه النظريات العلمية شيء آخر لا يتصل برسالته ولا بدعوته، إنه دين لهداية البشرية، يزخر بما لا يحصى من قيم روحية واجتماعية وإنسانية، وحسبُ المفسر أن يُعنى ببيان ما فيه من هذه القيم.." (30).

مناقشة هذا الرأي:

كأن الدكتور ضيف يرى أن الإمام محمد عبده لم يكن ينحو في تفسيره للقرآن منحًى علمياً، وهذا خلاف الواقع، فلقد كان الإمام أوّلَ من لفت الأنظار في العصر الحديث إلى ضرورة تفسير القرآن بما يتناسب مع روح العصر بما فيه من تقدم علمي، ولعل الذين جاءوا بعده من المفسرين الذين نزعوا إلى التفسير العلمي قد تأثروا بمنهج الإمام في نزعته العلمية أثناء التفسير لكتاب الله تعالى.

فكيف تقرُّ قوماً، وتلوم آخرين، صحيح أن القرآن فوق كل علم، ولكن ليس معنى ذلك أنه خال من العلم، وصحيح أنه لا يجوز أن يتخذ ذريعة لإثبات نظريات علمية، فليس القرآن مجال ذلك، ولكنه مع ذلك لا يجوز أن نغمض أعيننا عن إشاراته العلمية التي يكشف عنها العلم الحديث، ويؤكد صحتها.

وصحيح أنه لم ينزل لبيان قواعد العلوم، ولكنه لم يخلُ من إشارات لأصول وقواعد تلك العلوم. ثم كيف حصر الدكتور مهمة القرآن في بيان حكمة الله ووجود الخالق ونسي أن القرآن كتاب هداية وإعجاز معاً، غايتان لا تنفصلان عن كتاب الله تعالى، وأنه مناسب للعصور كلها إلى قيام الساعة، وهذا يقتضي أن نجد في كل عصر أدلة على أن القرآن هو كلام الله .

وبهذا فقد استعرضنا أربعة نماذج من المعارضين للتفسير العلمي ، وقد اجتهدت في مناقشة آرائهم وأدلتهم مع بيان وجه الحق في ذلك حسب ظني واجتهادي، ولعل غيرهم ممن سار على

نهجهم وتعذر علينا استيعاب كلامهم لم تخرج أدلتهم وآراؤهم عن هذه الآراء والأدلة ، إذ غالباً ما يكونون قد تأثر بعضهم ببعض إن لم يكونوا قد نقلوا.

المبحث الثاني

المسرفون في التفسير العلمي

إن الحديث عن هؤلاء المؤيدين المسرفين حديث لا يقل أهمية عن الحديث عمّن سبق تناولهم وهم المعارضون ، ذلك لأنهم على طرفي نقيض.

والآن نورد أربعة نماذج على سبيل المثال للمسرفين عرضاً لآرائهم وأدلتهم ومناقشة لها ، وهؤلاء هم الإمام الغزالي، والفخر الرازي، والسيوطي، وهؤلاء من القدامى، سأعرض أقوالهم منفردة ثم أناقشهم جملة خشية التكرار وحرصاً على الإيجاز ثم نقف وقفة مستقلة مع الشيخ طنطاوي جوهري من المعاصرين وقد أفردته بمناقشة خاصة نظراً لأنه أكثرهم إسرافاً وإفراطاً وتوسعاً في مباحث العلوم وجزئياته من خلال علم التفسير.

أولاً: رأي الإمام الغزالي (31):

يرى الغزالي أن القرآن يحتوي على آلاف مؤلفة من العلوم والمعارف وذلك حيث يقول في كتابه إحياء علوم الدين:

قال علي كرم الله وجهه : لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من سورة فاتحة الكتاب" فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار، وقال أبو الدرداء : "لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوهاً" وقد قال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم، وما بقي من فهمها أكثر.

وقال آخرون: القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم، إذ كل كلمة علم، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع، وقد اعتمدوا في ذلك على حديث النبي r إن{للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً ومطلعاً }(32). وقال ابن مسعود رضي

الله عنه من"أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن " [(33)]. وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر، وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته، وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته، وهذه العلوم لا نهاية لها، وفي القرآن إشارة إلى مجامعها.

بل كل ما أشكل فيه على النظار، واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه، يختص أهل الفهم بإدراكها [(34)].

ثم نجد الغزالي يدافع عن التفسير بالرأي ويستدل على ذلك بأدلة يؤكد بها جواز التفسير بالرأي، ليفتح بذلك جواز فهم القرآن حسب كل عصر وما يمتاز به من علوم ومعارف بدليل قوله في نهاية ذكره للأدلة "وجاز لكل واحدٍ أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله" [(35)].

ويُعَنْوِن الغزالي في الفصل الخامس من كتابه "جواهر القرآن" بقوله: "كيفية انشعاب سائر العلوم مطلقاً من القرآن "، ويقول فيه: "ولعلك تقول إن العلوم وراء هذه كثيرة كعلم الطب والنجوم وهيئة العالم وهيئة بدن الحيوان، وتشريح أعضائه، وعلم السحر، والطلسمات وغير ذلك" [(36)]

إلى أن يقول : "هذه العلوم ما عددناها، وما لم نعدها ليست أوائلها خارجة عن القرآن، فإن جميعها مغترفة من بحر وا حد من بحار معرفة الله تعالى، وهو بحر الأفعال، وقد ذكرنا أنه بحر لا ساحل له"[(37)].

ونراه قد أخذ يستدل على بعض العلوم بآيات من كتاب الله، وذلك كالطب، وتقدير معرفة الشمس والقمر ومنازلهما، وولوج الليل في النهار، وكيفية تكوّر أحدهما على الآخر، وعلم تشريح الأعضاء من الإنسان ظاهراً وباطناً وعددها وأنواعها وحكمتها ومنافعها [(38)].

وهكذا فقد كان الإمام الغزالي هو أوّل من لفت الأنظار إلى هذا اللون من التفسير العلمي كما أشار لذلك الذهبي [(39)]، ثم سار على نهجه علماء، قالوا بقوله، واقتفوا أثره في ذلك.

ثانياً: رأي الإمام الفخر الرازي (40):

إذا كان الغزالي قد روّج للتفسير العلمي، ووضع الأسس النظرية له، فإن الفخر الرازي صاحب "مفاتح الغيب" المشتهر بالتفسير الكبير، قد طبق في تفسيره كلّ ما استحدثته البيئة الإسلامية من ثقافة علمية وفكرية على الآيات القرآنية (41).

ولذلك نجد الإمام الرازي يقول في تفسيره : "إن القرآن أصل العلوم كلها، فعلم الكلام كله في القرآن، وعلم الفقه كله مأخوذ من القرآن، وكذا علم أصول الفقه، وعلم النحو واللغة، وعلم الزهد في الدنيا، وأخبار الآخرة، واستعمال مكارم الأخلاق" (42).

وإن تفسيره مليءٌ بالأمثلة الدالة على كثرة استطراده (43)، مما دعا العلماء أن يأخذوا عليه هذا الإسراف والتوسع، ولنذكر على سبيل المثال بعضاً ممّن أشاروا لذلك .. يقول أبو حيان الأندلسي: "وهكذا جرت عادتنا أن كل قاعدة في علم يُرجع في تقديرها إلى ذلك العلم، ونأخذها في علم التفسير مسلّمة من ذلك العلم، ولا نطول بذكر ذلك في علم التفسير، فنخرج عن طريقته، كما فعله أبو عبد الله محمد الرازي، فإنه جمع في كتابه التفسير أشياء كثيرة طويلة لا حاجة بها في علم التفسير، ولذلك حكى عنه بعض المتطرفين من العلماء أنه قال: فيه كل شيء إلاّ التفسير" (44).

ويقول محمد رشيد رضا : "وقد زاد الفخر الرازي صارفاً آخر عن القرآن، هو ما يورده في تفسيره من العلوم الرياضية والطبيعية وغيرها من العلوم الحادثة في الملة على ما كانت عليه في عهده، كالهيئة الفلكية اليونانية وغيرها" (45).

وهكذا نرى تفسير الفخر الرازي وقد أُثقل بالآراء الكونية والعلمية التي فاض بها القرن الخامس من الهجرة، فجاء في كثير من صفحاته بعيداً عن الجو القرآني.

ثالثاً: رأي الإمام السيوطي (46):

لقد سار السيوطي على ما سار عليه الغزالي في التوسع والإسراف في التفسير العلمي، نجد

ذلك واضحاً في كتابه"الإتقان في علوم القرآن " في النوع "الخامس والستين" منه، وقد تطرق لذلك أيضاً في كتابه "معترك الأقران في إعجاز القرآن".

ونجده يُعَنْوِن في الإتقان بقوله "العلوم المستنبطة من القرآن " يقول فيه: "قال تعالى: [مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ..] (47) وقال: [..وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ..] (48)، وقال r : {ستكون فتن، قيل : وما المخرج منها؟ قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم} [أخرجه الترمذي] (49) وغيره" (50). ثم نراه ينقل أقوالاً لبعض العلماء كابن سراقة، وابن أبي الفضل المرسي، والراغب الأصفهاني، وأبي بكر بن العربي وغيرهم، لبيان رأيهم في العلوم المستنبطة من القرآن ومستشهداً بذلك على ما ذهب إليه، ثم يردف ذلك بقوله : "وأنا

> أقول قد اشتمل كتاب الله العزيز على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس منها باب ولا مسألة هي أصل إلاّ وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه عجائب المخلوقات، وملكوت السماوات والأرض، وما في الأفق الأعلى وتحت الثرى إلى غير ذلك مما يحتاج شرحه إلى مجلدات " (51).

وبهذا ندرك كيف سار السيوطي على مذهب الغزالي والفخر الرازي في المبالغة في العلوم المستنبطة من كتاب الله تعالى والإسراف في ذلك إلى حدٍ يجعل القوم من المفرطين في هذا الميدان.

مناقشة الآراء السابقة:

أقول: إن الغزالي ومَنْ سار على نهجه قد بالغوا في استنباط العلوم من القرآن، فحمّلوه كل صغيرة وكبيرة، وكلّ ما جدّ وما يجدُّ، ولذلك فإن أدلتهم وأقوالهم تفتح الباب على مصراعيه أمام كلّ من يريد ا لولوج في حمى ا القرآن، فلو نظرنا إلى قول الغزالي فيما يشمله القرآن من علوم لرأينا العجب، ذلك أن سبعة وسبعين ألفاً ومائتي علم إذا ضربت في أربعة، يكون الناتج ثلاثمائة ألف وثمانية آلاف وثمانمائة علم، وهل يُعقل أن هناك علوماً بمثل هذا العدد الضخم؟ اعتقادي أنها لا تبلغ عشر معشار هذا العدد الضخم، وإن بلغت فإننا لا نستطيع تحديدها

والوقوف عليها، ولا نستطيع إثبات الصلة بينها وبين القرآن.

ولعل ممّا يهون الأمر أنهم أرادوا بذلك المعاني، فالكلمة قد تشمل أكثر من معنى، لكن الفرق كبير بين المراد بالمعنى، والمراد بالعلم، فالمعنى هو مرادف الكلمة، أو هو ما يفهم بها أو منها، أما العلم فله أصول وقواعد، وله غاية يخدمها ويسعى إليها.

وصحيح أن العلوم كثيرة لا يعلمها إلاّ الله، ولكن تحديد ذلك بأرقام وأعداد معينة شيء آخر، كما أن الجزم بأن علوم القرآن المستنبطة منه عددها كذا وكذا، هذا نفسه تجاوز في الدعوى لأن علومه لا يعلمها إلاّ الله . أما استشهاد السيوطي بآية الأنعام وهي قوله: [.. ما فرطنا في الكتاب من شيء ..] على أن كل شيء، ما وقع وما يقع في الكائنات نجده في القرآن، هذا خلاف ما ذهب إليه المفسرون في معنى الآية، يقول الزمخشري في تفسير الآية: "أي ما تركنا وما أغفلنا في اللوح المحفوظ من شيء من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب أن يثبت ممّا يختص به"(52) وكذلك يستدل السيوطي بآية النحل وهي قوله تعالى : [ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء] على أن كل العلوم مبينة في القرآن، وهذا خلاف ما ذهب إليه الزمخشري في تفسير الآية، وذلك حيث يقول:

فإن قلت: كيف كان القرآن تبياناً لكل شيء؟

قلت: المعنى أنه بيّن كل شيء من أمور الدين حيث كان نصاً على بعضها، وإحالة على السنة، حيث أمر فيه باتباع رسول الله ﷺ وطاعته، وحثاً على الإجماع .. فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد مستندة إلى بيان الكتاب"(53).

وعلى ذلك فلابد من الاستدلال بالآيات في مكانها وألاّ نحمّلها أكثر من معناها الذي جُعلت له، لا أقصد بذلك نفي التفسير العلمي ، ولكن قصدت عدم الإسراف في ذلك حتى لا يصبح القرآن مرتعاً وملعباً لكل من أراد أن يلج حماه.

ولعل مبالغة هؤلاء المسرفين هي التي جعلت ردة فعل معاكسة لدى المنكرين حيث استدلوا بما

يفعله هؤلاء المتوسعون الذين حمّلوا الآيات ما لا تحتمل، وقد أشار الدكتور عماد الدين خليل إلى ذلك حيث قال : "إن الفعل الخاطئ كما هو معروف - يولد رد فعل خاطئ يساويه في القوة، ويخالفه في الاتجاه، وهكذا فإن مبالغة طائفة من المفكرين في تحويل القرآن الكريم إلى كتاب رياضيات وفلك وطب وتشريع، دفع طائفة أخرى إلى وضع جدار عازل بين القرآن والمعطيات العلمية، وكأن كتاب الله جاء ليخاطب الإنسان بمعزل عن العالم الذي هيئ له والكون الذي يتحرك فيه .. إن هذا التضاد المتطرف يجب ألاّ يضيّع علينا الرؤية الصحيحة لموقف القرآن من المسألة العلمية.. إن القرآن يظل في حالة حضور دائم في قلب العالم والحياة والكون، يعايش سننها ونواميسها ويحدثنا عنها .. إنه أمر بديهي أن تتعانق معطيات القرآن ومعطيات العلم وتتوازيا لا أن تتضادا وتقوم بينهما الحواجز والجدران، ذلك أن مصدر العطاء واحد وهو الله جلّ وعلا، صانع السنن والنواميس، ومنزل القرآن.. خالق الكون والعالم وباعث الإنسان [قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ (54)]" (55).

تقول الدكتورة هند شلبي "ولا يخفى أن النقد الذي تمت به معارضة هذا الاتجاه في محله فإن من يقف على تأليف فريق المتحمسين للتفسير العلمي .. يلاحظ أنهم قد حمّلوا الآيات ما لا تتحمله من المعاني، واعتبروا علمية القرآن في مجرد إشارته بالكلمة العادية يبنون عليها علماً كاملاً في كلياته وجزئياته.." (56).

رابعاً : رأي الشيخ طنطاوي جوهري (57):

صنّف الشيخ تفسيراً أسماه "الجواهر في تفسير القرآن الكريم، المشتمل على عجائب المكنونات وغرائب الآيات الباهرات "، وقد جمع فيه من العلوم والمعارف ما أخرجه عن كونه كتاب تفسير، فقد استطرد فيه مع كل علم، وجمع فيه كلّ غريب، ورسم فيه صوراً متنوعة عن النباتات والأعشاب والحيوانات والطيور إلى غير ذلك من الكائنات.

ويقول في مقدمة تفسيره:

"وليكوننّ هذا الكتاب داعياً حثيثاً إلى درس العوالم العلوية والسفلية، وليقومنّ من هذه الأمة من يفوقون الفرنجة في الزراعة والطب والمعادن والحساب والهندسة والفلك وغيرها من العلوم والصناعات، وكيف لا؟ وفي القرآن من آيات العلوم ما يربو على سبعمائة وخمسين آية، فأما علم الفقه فلا تزيد آياته الصريحة على مائة وخمسين آية . ولقد وضعت في هذا التفسير ما يحتاجه المسلم: من الأحكام والأخلاق وعجائب الكون، وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق، مما يشوّق المسلمين والمسلمات إلى الوقوف على حقائق معاني الآيات البينات في الحيوان والنبات والأرض والسماوات"(58).

وقد صنّف الشيخ كتباً كثيرة يصعب حصرها في هذه العجالة يغلب عليها الجمع بين القرآن والعلوم المتنوعة والغرائب المتعددة والعجائب النادرة، فعلى سبيل المثال له كتاب بعنوان القرآن والعلوم العصرية " وقد ضمّنه مباحث عن علم الفلك، والنبات، والبحار، والحشرات والحيوانات، والطيور، وقد ذكر أن في القرآن آيات جامعات للعلوم العصرية، وختم كتابه بفصل يفصّل فيه العلوم العصرية المستخرجة من آيات سورة النحل (59).

وبالمثال تتضح صورة الإسراف والتوسع والاستطراد، يقول عند تفسيره لآية الكرسي : لقد استبان لك أن صفات الله ظهر بعضها في آية الكرسي .. أو ليس ذلك يدعو إلى علم التشريح، وعلم الكيمياء، كيف لا يدعو لذلك، وهو يقول [.. يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاء..] (60). أليس هذا يدعو إلى علم الحياة المخترع حديثاً، الذي يبحث في حياة الإنسان والحيوان والنبات، أوليس الجنين في الرحم من الدم الناجم من خلاصة الغذاء؟ وبالتفاعل الكيماوي كوّنت هذه الأعضاء، أوليس هذا العلم يشمل الحيوان والنبات؟ .. أوليس قوله [.. وَوَضَعَ الْمِيزَانَ] (61) يدعو إلى تعلم سائر العلوم، إن هذا الميزان لا يعقله إلاّ الذي درس كلّ علم كالطبيعة والفلك والكيمياء، فإن الذرات في التفاعل الكيماوي لها حساب دقيق لا خطأ فيه، ولا خلل، كما ترى في تركيب الماء من الأكسجين والأيدروجين، وإن نسبة وزن الأكسجين إلى الأيدروجين معلومة لا تتغير.." (62).

مناقشة رأي الشيخ طنطاوي:

رأينا كيف حمّل الشيخ كتبه وتفسيره علوماً لا تُعدّ ولا تحصى وقد أسرف واستطرد وأفرط بلا حدود في تحميل الآيات مالا تحتمل وكان ذلك هو التكلف الذي اعتمد عليه المنكرون للتفسير العلمي وإعجازه القرآني، وهو المراد بليِّ عنق الآية لتوافق نظرية أو حقيقة علمية مع التباعد بينهما، ولعل ذلك قد ظهر لنا واضحاً من خلال تفسيره لآية الكرسي، فمثلاً ما علاقة الأكسجين والأيدروجين بآية الكرسي؟ أيكون مثل هذا تفسيراً للقرآن الكريم؟ أم هو دائرة معارف علمية؟ لاشك أنه كتاب علمي أقرب منه أن يكون كتاب تفسير للقرآن، فإن مثل هذا النهج يخرج بالتفسير عن طبيعته، فأين جانب الهداية والتشريع في كتاب الله؟ إننا لا ننكر أن يكون في القرآن من الإشارات والحقائق العلمية الشيء الكثير بما يكشف عنه العلم تباعاً عصراً بعد عصر، وجيلاً بعد جيل، و لكن ليس إلى هذا الحدّ من الإسراف بحيث تطغى على غيرها من أهداف القرآن ومراميه.

وإنا لا ننكر هدف الشيخ الإصلاحي، وحرصه على رقي الأمة الإسلامية، ولكن ليس بهذا الإفراط ، ولعل إسرافه هذا قد دعا العلماء إلى نقده وبيان تجاوزه، يقول الأستاذ محمد رجب البيومي في مجلة الأزهر:

"كما نجد أن المسألة قد كررت في صورة مكبرة مجوّفة حين جاء الأستاذ طنطاوي جوهري - رحمه الله- فملأ تفسيره الضخم بمئات الصحائف العلمية التي تتحدث عن مظاهر الكون حديث الكيميائي والطبيعي والفلكي والجغرافي والنباتي، فهو ينتهز كلمة عابرة كالرعد أو الأرض أ و النحل أو النمل ليفيض في دقائق علمية تعرض خواص هذه الأشياء دون أن تدعو إليها حاجة التفسير المعقول للكتاب الكريم" (63).

وبهذا ندرك أن الشيخ طنطاوي جوهري من أشد علماء العصر الحديث تشيعاً للنزعة التفسيرية العلمية ، وأكثرهم إنتاجاً لهذا اللون من التفسير، وقد سار علىدربه وسلك سبيله جمع من المثقفين المعاصرين كالأستاذ عبد الرزاق نوفل في كتبه الكثيرة، وكذلك الأستاذ مصطفى

محمود في عدة كتب له.

وبهذا فقد وقفنا على بعض النماذج ممّن أسرفوا في القول في التفسير العلمي ، سواء أكان ذلك بفتح الباب على مصراعيه، أو بالإفراط والاستطراد البعيد ممّا جعل ذلك مأخذاً عليهم ومبرراً لغيرهم إلى محاولة إغلاق الباب بإطلاق، وكلاهما غير محمود.

المبحث الثالث

المعتدلون في القول بالتفسير العلمي

وأقصد بالمعتدلين أولئك الذين كانت لهم مواقف معتدلة في القول بالتفسير العلمي ، فلم يميلوا إلى الإفراط أو التفريط، وهم جمع يصعب حصرهم، ويغلب عليهم أنهم معاصرون بدءاً بالإمام محمد عبده صاحب المدرسة العصرية في التفسير ثم من جاء بعده متأثراً به، وهذا لا يعني عدم الإشارة والميل لهذا اللون من التفسير في الماضي فقد مرّ معنا رأي الغزالي والفخر الرازي والسيوطي في مبحث المسرفين، ولكن التقدم العلمي الحديث أدى إلى نضوج الفكرة ووضوح الصورة لدى المعاصرين بنسبة أكبر وسنقف مع أربعة نماذج على سبيل المثال وهم: الإمام محمد عبده، والشهيد سيد قطب، والإمام محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ محمد متولي شعراوي، واختياري لهؤلاء دون غيرهم لا يُنقص من قدر الآخرين لكن لضيق المقام أولاً ولكونهم أصحاب تفاسير مشهورة.

والآن سيكون دوري ومهمتي هو الوقوف على هذه الآراء من مصنفاتهم وما يقتضيه الأمر من تنسيق وتقديم وتعليق .

أولاً: رأي الإمام محمد عبده [64]:

عرفنا أن الإمام محمد عبده صاحب مدرسة حديثة في التفسير تتابع روح العصر ومقتضياته، وتمتاز بالحرية العقلية والثورة على القديم، وبالتالي يرى أهمية الأخذ بالتفسير العلمي كعنصر من عناصر التبيان عن إعجاز القرآن، ولذلك نجده يتناول بعض آيات القرآن فيشرحها شرحاً

يقوم على أساس من نظريات العلم الحديث، وغرضه بذلك: أن يوفق بين معاني القرآن التي قد تبدو مستبعدة في نظر بعض الناس، وبين ما عندهم من معلومات توشك أن تكون مُسلّمةً عندهم، أو هي مُسلّمةُ بالفعل(65).

يقول الدكتور عبد المجيد المحتسب : "يرى محمد عبده وفاقاً لنزعته العقلية في التفسير أن إعجاز القرآن يعجز الزمان عن إبطال شيء منه، وأنه موافق لما تجدّد من العلم الحق، والتشريع العدل، أو غير مخالف له .. لهذا صح أن تجعل سلامته من الخطأ ضرباً من ضروب إعجازه للبشر، وإن لم يكن هذا مما تحدى به الرسول r من عجز البشر عن مثله، لأنه لم يكن ليظهر إلاّ من بعده فادُّخر ليكون حجة على أهله، والقرآن مشتمل على تحقيق كثير من المسائل العلمية والتاريخية التي لم تكن معروفة في عصر نزوله، ثم عُرفت بعد ذلك بما انكشف للباحثين والمحققين من طبيعة الكون وتاريخ البشر وسنن الله في الخلق" (66).

ويحسن أن نذكر مثالاً من تفسير الإمام للدلالة على نزعته العلمية المعتدلة، وذلك حيث يقول عند تفسير قوله تعالى: " وَالسَّمَاء وَمَا بَنَاهَا " (67):

"السماء اسم لما علاك وارتفع فوق رأسك، وأنت إنما تتصور عند سماعك لفظ السماء - هذا الكون الذي فوقك : فيه الشمس والقمر، وسائر الكواكب تجري في مجاريها، وتتحرك في اوملتها، هذا هو السماء، وقد بناه الله : أي رفعه، وجعل كل كوكب من الكواكب منه بمنزلة لبنة من بناء سقف أو قبة أو جدران تحيط بك، وشد هذه الكواكب بعضها إلى بعض برباط الجاذبية العامة، كما تربط أجزاء البناء الواحد بما يوضع بينها مما تتماسك به" (68).

ومع ذلك فإن للإمام شطحات قد أخذها العلماء عليه وانتقدوه فيها وذلك مثل تفسيره لسورة الفيل، حيث اعتبر أن الذي أصاب جيش أبرهة هو داء الجدري والجراثيم التي نقلتها الطيور وهي ما تعرف اليوم بالميكروبات (69).

ولا شك أن لكل عالم زلة، والعصمة لرسل الله، ولعل حياته في باريس جعلته متأثراً بالحضارة

الغربية ومناهجها، ومنها "المنهج الذاتي في كتابة السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي الذي تزعمه "فرويد" والذي يرى ضرورة أن يُقحم المؤرخ نزعته الذاتية أو اتجاهه الفكري أو الديني أو السياسي في تفسير الأحداث وتعليلها والحكم عليها" (70).

فلعل هذا المنهج قد أثر عليه بشكل أو بآخر مما جعله يؤول بعض الأحداث ويخوض في بعض المبهمات بشيء من التفصيلات والجزئيات، والأولى أن يسلّم بالأمر الخارق للعادة كما أخبر الله عز وجل دون تعليل أو تأويل.

ثانياً: رأي الشهيد سيد قطب (71):

الشهيد سيد قطب هو صاحب التفسير المشهور "في ظلال القرآن " والذي يمتاز بأسلوبه الأدبي الجذاب وحسن التصوير وكأنك تعيش الحدث عن قرب، وكذلك له كتاب بعنوان "التصوير الفني في القرآن " وقد عاصر النهضة العلمية والاختراعات والتقدم العلمي والتكنولوجي فأفاد من ذلك في تفسيره مع تحفظه الشديد من الإفراط أو التفريط وبالمثال تتضح الصورة على حقيقتها، فبعد أن تحدث عن التفسير العلمي لقوله تعالى : [خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ] (72) قال رحمه الله:

"إلا أن هذا الذي أثبته العلم لا يجوز أن يؤخذ على أنه التفسير الحتمي للنص القرآني، فقد تكون الحقيقة القرآنية تعني هذا الذي أثبته العلم أو تعني شيئاً آخر سواه، وتقصد إلى صورة أخرى من الصور الكثيرة التي يتحقق بها معنى خلق الإنسان من تراب أو طين، أو صلصال.

والذي ننبه إليه بشدة هو ضرورة عدم قصر النص القرآني على كشف علمي بشري قابل للخطأ والصواب، وقابل للتعديل والتبديل كلما اتسعت معارف الإنسان وكثرت، وتحسنت وسائله للمعرفة، فإن بعض المخلصين من الباحثين يسارعون إلى المطابقة بين مدلول النصوص القرآنية والكشوف العلمية تجريبية أو افتراضية - بنية بيان ما في القرآن من إعجاز، فالقرآن معجز سواء طابقت الكشوف العلمية المتأرجحة نصوصه الثابتة أم لم تطابقها،

ونصوصه أوسع مدلولاً من حصرها في نطاق تلك الكشوف القابلة دائماً للتبديل والتعديل بل للخطأ والصواب من الأساس، وكل ما يستفاد من الكشوف العلمية في تفسير نصوص القرآن، هو توسيع مدلولها في تصورنا كلما أطْلَعَنا العلمُ على شيء مما تشير إليه إشارات مجملة من آيات الله في الأنفس والآفاق، دون أن يُحمل النصُ القرآني على أن مدلوله هو هذا الذي كشفه العلم، إنما يجوز أن يكون هذا بعض ما يشير إليه" (73).

وهكذا فإن رأي سيد قطب مما يجعل القرآن مسايراً كل الأزمان، ولا ينحصر أو يقف عند زمن دون سواه، ويكون دور العلم وما يثبته ويكشفه هو الاستئناس في فهم الآية دون قصر معناها على هذا الكشف أو ذاك الاختراع، فقد تعني الآية هذا المعنى، وقد تعني شيئاً سواه.

ثالثاً: رأي الإمام محمد الطاهر بن عاشور (74):

الإمام ابن عاشور هو صاحب التفسير المشهور "التحرير والتنوير"، ويُعدُّ الإمام من أهل هذا الزمان الذين عاصروا النهضة العلمية وقد تأثر بها في تفسيره، ولنأخذ قطعة من كتابه التفسير لنرى رأيه في التفسير العلمي من خلال رأيه في الإعجاز العلمي وذلك حيث يقول:

وأما "النوع الثاني من إعجازه العلمي فهو ينقسم إلى قسمين: قسم يكفي لإدراكه فهمُه وسمعُه، وقسم يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى العلم بقواعد العلوم، فينبلج للناس شيئاً فشيئاً انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهوم وتطورات العلم، وكِلا القسمين دليل على أنه من عند الله، لأنه جاء به أُمِّيٌ في موضع لم يعالج أهله دقائق العلوم، والجائي به ثاوٍ بينهم لم يفارقهم" (75).

إلى أن يقول: "وهذه الجهة من الإعجاز إنما تثبت للقرآن بمجموعه أي مجموع هذا الكتاب إذ ليست كل آية من آياته، ولا كل سورة من سوره بمشتملة على هذا النوع من الإعجاز، ولذلك فهو إعجاز حاصل من القرآن، وغير حاصل به التحدي إلاّ إشارة نحو قوله تعالى [.. وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا] (76)، وإعجازه من هذه الجهة للعرب ظاهر، إذ لا قِبَلَ لهم بتلك العلوم كما قال الله تعالى: [.. مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا..]

(77)، وإعجازه لعامة الناس أن تجيء تلك العلوم من رجل نشأ أميّاً في قومٍ أميّين" (78).

رابعاً: رأي الشيخ محمد متولي شعراوي (79):

الشيخ شعراوي من المعاصرين، ولا يجهله أحد من عامة الناس أو خاصتهم وهو صاحب البرنامج الإذاعي والتلفزيوني المشهور بما فيه من بلاغة وحسن بيان، وقد جُمعت دروسه ومحاضراته في تفسير قد طبع منه عدة مجلدات، وهو من القائلين بالتفسير العلمي، وهو من المعتدلين في رأيه القائل بأن التفسير العلمي وإعجازه القرآني متجدد عبر العصور والأجيال إلى قيام الساعة، ومع كلامه ليكون ذلك أقرب لبيان رأيه، وذلك حيث يقول: "ولكن التحدي في القرآن ومعجزاته ليست للعرب وحدهم .بل هي للعالم أجمع .. ومن هنا فقد كان إعجاز القرآن اللغوي.. هو تحدٍ للعرب فيما نبغوا فيه، ولكن التحدي لم يأتِ للعرب وحدهم، والقرآن جاء لكل الأجناس، وكل الألسنة، فأين التحدي لغير العرب، ثم هذا الكتاب سيبقى إلى أن تقوم الساعة، فلابد أن يحمل معجزة للعالم في كل زمان ومكان، ومن هنا كانت هناك معجزات للقرآن وقت نزوله، وفي خلال فترة نزوله، وبعد نزوله، وهي مستمرة حتى يومنا هذا، وستستمر إلى قيام الساعة لتظهر لنا آيات الله في الأرض" (80).

إلى أن يقول : "مزّق القرآن حجاب المستقبل البعيد .. ليعطي الأجيال القادمة من إعجازه ما يجعلهم يصدقون القرآن، ويسجدون لقائله، وهو الله، ولكن هذا القرآن نزل في زمن لو أن هذه المعجزات المستقبلة جاءت تفصيلية لكفر عدد من المؤمنين وانصرف آخرون، ذلك أن الكلام كان فوق طاقة العقول في ذلك الوقت، ومن هنا وحتى لا يخرج المؤمن عن إيمانه، ويستمر الإعجاز، جاء الإعجاز بنهايات النظريات، بقمة نواميس الكون، إذا تليت على المؤمنين في ذلك الوقت، مرت عليهم، ولم يتنبهوا إلى مدلولها الحقيقي العلمي، وإذا قيلت بعد ذلك على الأجيال القادمة عرفوا ما فيها من إعجاز، وقالوا إن هذا الكلام لايمكن أن يقوله شخص عاش منذ آلاف السنين، إذن لابد أن هذا حق من عند الله، وأن قائله هو الله الخالق" (81).

وهكذا يثبت الشيخ شعراوي صلاحية القرآن لكل الأزمان، وهو المعجزة الخالدة على مرِّ

العصور والأجيال بما فيه من توافق وتطابق مع ما يثبته العلم المتجدد بما يؤكد صدق الوحي والنبوة .

وبهذا يظهر لنا رأي المعتدلين في القول بالتفسير العلمي من خلال ما قالوا وما كتبوا وكيف أنهم تجنبوا الوقوع فيما وقع فيه السابقون من إفراط أو تفريط، فكان رأيهم أقرب إلى الحق والعدل وكان فيه من المعقولية ما يدعو إلى قبوله والتسليم به.

الخاتمة

ظهر من خلال هذا البحث رأي المنكرين المعارضين الذين تجاوزوا الحد في الإنكار للتفسير العلمي، وكأنّ القرآن ما أُنزل إلاّ لمن عاصروا فترة التنزيل دون غيرهم من أهل العصور المتتالية إلى قيام الساعة.

وقد مثلت لهذا الاتجاه برأي أبي إسحاق الشاطبي، والدكتور محمد حسين الذهبي، وشيخ الأزهر محمود شلتوت، والدكتور شوقي ضيف، وذلك بالوقوف على أقوالهم من مصنفاتهم.

ومن خلال مناقشتي لأقوالهم ظهرت الحقيقة جلية، وبرز التفسير العلمي، لا ينكره إلاّ مكابرٌ متكلف، وقد فُتح بذلك باب قد أغلقه المعارضون. أما المؤيدون الذين أسرفوا في مباحث العلوم وجزئياته من خلال علم التفسير، فما من صغيرةٍ ولا كبيرةٍ إلاّ جعلوها في القرآن الكريم رغماً عن آياته، مع الاستطراد المتكلف في مسائل العلوم والمعارف المتنوعة لتوافق الآيات القرآنية .

وقد مثلت لهذا الاتجاه برأي الإمام الغزالي، والإمام الفخر الرازي، والإمام السيوطي، وقد أفردت الشيخ طنطاوي جوهري بحديث مستقل نظراً لاستطراده، وذلك بالوقوف على أقوالهم من مصنفاتهم. ومن خلال مناقشتي لأقوالهم ظهر خطورة هذا الإفراط بما لا تقل عن خطورة ذلك التفريط مما يدعو هؤلاء وأولئك إلى وضع حدٍ لهذا التجاوز.

وأما المعتدلون الذين اتخذوا موقفاً عدلاً وسطاً، حيث أخذوا بالتفسير العلمي بما يتناسب مع كلِّ عصرٍ بما فيه من علوم ومعارف ويتناسب مع كلِّ جيلٍ بما تطيقه قدراتُهم وجهودُهم،

وأصحاب هذا الرأي جمعٌ كبيرٌ عامتهم من المعاصرين الذين عاشوا فترة الـ تقدم العلمي مما أدى إلى نضوج الفكرة عندهم، ووضوح الصورة لديهم، وقد أسهم ذلك في اعتدال آرائهم.

وقد مثلت لهذا الاتجاه برأي الإمام محمد عبده، والشهيد سيد قطب، والإمام محمد الطاهر بن عاشور، والشيخ محمد متولي شعراوي، وذلك بعرض أقوالهم من خلال مصنفاتهم.

وكان دوري مع آراء المعتدلين ما يقتضيه الأمر من تنسيق وتقديم وتعليق إن احتاج الأمر ذلك لأنه الأقرب إلى الحق والعدل والمعقولية مما يدعو إلى قبوله والتسليم به.

- ومن خلال ما سبق من استعراض الآراء ومناقشتها يمكنني القيام على تأصيلُ وتقعيد القول بالتفسير العلمي للقرآن الكريم بعيداً عن الإفراط والتفريط، وذلك بوضع نقاطٍ تمثل الأسس والقواعد والضوابط، وذلك **فيما يلي** :

- **أولاً** : إن القرآن لم ينزل للعرب وحدهم، وإنما لكلِّ العصورِ والأجيالِ، فلابد أن يجد فيه أهل كلِّ عصرٍ أدلة على صدق الوحي والنبوة .
- **ثانياً** القرآن كتاب هدايةٍ و إعجازٍ معاً لا ينفصلان إلى قيام الساعة، فالبحث عن تفسيره في أي عصر بما يتلاءم مع ثقافة ذلك العصر لا يُعدُّ خروجاً عن هدفه.
- **ثالثاً** : يجب على المسلمين في كلِّ عصرٍ أن يفهموا النص القرآني حسب قدرتهم وثقافتهم العلمية.
- **رابعاً** : إن النظريات العلمية بمنهجيتها لا يُلغي بعضها بعضاً، وإنما يدعّم اللاحق منها السابق.
- **خامساً**: على الرغم من أن الحقيقة العلمية هي نهاية ما وصل إليه العلم إلا أنها مع ذلك قد يعتريها شيء من التطور حسب إمكانات العصر وما يجدُّ من معارف وعلوم.
- **سادساًلا** نجزم بأن مراد الله من آياته هو هذه النظريـ ـة أو تلك الحقيقة، وإنما نستأنس بهما

فقط إن توافقتا مع ظاهر الآية القرآنية.

- **سابعاً**: إن ثبت خطأ نظرية سبق أن استأنسنا بها في تفسير آية قرآنية، فهذا يدعو إلى إعادة النظر في فهم الآية، ولا ينقُص ذلك من قَدْرِ القرآن، فهو أصلٌ ثابتٌ.
- **ثامناً**يجب عدم إخضاع الآيا ت القرآنية وإرغامها لتوافق حقيقةً علميةً لأنه لا يشترط أن يكون لكل حقيقة ما يوافقها من الآيات، فهذا تَكلّفٌ لا يقبله الله لكتابه.
- **تاسعاً**: إن توافق ظاهر آية قرآنية مع حقيقة علمية مع تمام المطابقة بينهما، فهذا دليل علمي يثبت أن القرآن كلام الله قطعاً ، ولا يمكن أن يكون من كلام بشر مهما كان .
- **عاشراً** : إن التفسير العلمي ليس مصاحباً لزمن النزول ، وإنما هو حديث النشأة ليخاطب الذين لا يتكلمون العربية بلغة العلم التي يعرفونها ولا يؤمنون بغيرها وسيلةً للتخاطب.
- **الحادي عشر**: إن العلم الحديث لم يأتِ بهذه الحقائق بعد أن لم تكن، ولكنها سننٌ إلهيةٌ كانت خفيةً عن عقول البشر، فتم اكتشافها لتوافقَ آيات إلهية متلوة، فيستدل بذلك على أن القرآن كلام الله ومن عنده قطعاً.
- **الثاني عشر**: يجب عدم الخوض في جزئيات العلوم ومسائلها عند تفسير الآيات القرآنية، وإنما تُؤخذ مُسلَّمةً في هذا المجال.
- **الثالث عشر**: إن الإفراط في التفسير العلمي يؤدي إلى ردة فعلٍ معاكسةٍ حيث تُولِّدُ رأياً يُغلقُ الباب بإطلاق، وهذا هو التفريط المردود أيضاً.
- **الرابع عشر**: الوسطية والاعتدال في القول بالتفسير العلمي هو خير الأمور وأكثرها قبولاً لدى المنصفين الباحثين عن الحقيقة.
- **الخامس عشر**: القول المعتدل في التفسير العلمي المتجدد مع الزمن يزيد القرآن عظمةً وجلالةً وقدسيةً ومهابةً وذلك عند القريبِ والبعيد، وعند العدو والصديق.

- **السادس عشر**: يُعدُّ التفسير العلمي بمثابة تجديدٍ لرسالةِ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، فكأنما هو قائمٌ في كلِّ عصرٍ يُرى الناس دليل صدقه، وهو ذلك التوافق والتطابق بين سنن الله في الكون وآيات الله في القرآن، تحقيقاً لقوله تعالى : "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق.."(82).
- **السابع عشر** : إن أمية النبي هي أبلغ في إثبات دليل الوحي والنبوة مما لو كان قارئاً وكاتباً.

وبهذا يكون التفسير العلمي حقيقةً ثابتةً قائمةً على أصولها وأسسها وضوابطها مثلُهُ كمثلِ شجرةٍ طيبةٍ أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السماء تُؤتي أُكلها كلَّ حينٍ بإذنِ ربِها.

قائمة المراجع والهوامش

---

(1) سورة فصلت، الآية (53).

(2) القرآن وعالم الحيوان – للدكتور عبد الرحمن محمد حامد – ص26 – الدار السودانية للكتب – الخرطوم.

(3) الكون بين العلم والدين – للدكتور محمد جمال الدين الفندي – ص31 – مطابع الأهرام التجارية – مصر – 1391هـ - 1972م.

(4) الرازي من خلال تفسيره – لعبد العزيز المجدوب – ص52 – الدار العربية للكتاب – ليبيا وتونس – الطبعة الثانية – 1400هـ - 1980م.

(5) انظر : التفسير والمفسرون – للدكتور محمد حسين الذهبي – ج1 – ص474 - منشورات دار الكتب الحديثة – الطبعة الثانية – 1396هـ -1976م ، واتجاهات التفسير في العصر الراهن – للدكتور عبد المجيد المحتسب – ص447 – منشورات مكتبة النهضة الإسلامية – الطبعة الثانية – 1402هـ - 1982م.

---

(6) هو إبراهيم بين موسى الشاطبي ، أبو اسحاق ، مُحدث فقيه ، أصولي ، لغوي ، مٌفسر مالكي المذهب ، توفي سنة 790هـ / معجم المؤلفين عمر كحالة – ج1- ص118 – مطبعة الترقي – دمشق – 1379هـ - 1960م.

(7) الموافقات في أصول الشريعة – إبراهيم بن موسى الشاطبي – ج2 ص 69 – تحقيق وضبط محمد عبد الله دراز – مطبعة الشرق الأدنى بالموسكي – منشورات المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

(8) المرجع السابق – ج2 ص 69 -71 .

(9) يقصد العلوم التي كانت معروفة عند العرب كعلم النجوم والتاريخ والزجر ، وعلم الطب وفنون البلاغة وضرب الأمثال .

(10) الموافقات في أصول الشريعة ج2 ص 79-80 .

(11) المرجع السابق ج2 ص 81-82 .

(12) أنظر : مقال للأستاذ محمد رجب البيومي – مجلة الأزهر – لشهر جماد الأولى سنة 1380 هـ - المجلد رقم (32) – ص 463-464.

(13) انظر : التحرير والتنوير – محمد الطاهر بن عاشور – ج1 ص44 – الدار التونسية للنشر .

(14) انظر : القرآن العظيم هدايته وإعجازه في أقوال المفسرين – محمد الصادق عرجون – ص260 – 264 –دار الاتحاد العربي للطباعة – منشورات مكتبة الكليات الأزهرية – 1386هـ ، 1966م .

(15) حاز على الشهادة العالمية من درجة أستاذ في علوم القرآن والحديث وقد عمل أستاذاً بكلية الشريعة بالأزهر الشريف، ووزيراً للأوقاف بمصر ، اغتيل في شهر رجب سنة 1397 هـ ، الموافق 1977م، له مؤلفات أشهرها: (التفسير والمفسرون، الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم ، الشريعة الإسلامية، وغيرها / انظر: تكملة معجم المؤلفين – محمد خير يوسف ص 474 – وفيات (1397-1415هـ) – (1977 – 1995م) .

---

(16) انظر "التفسير والمفسرون" ج2، ص491-493.

(17) سنن الترمذي – محمد بن عيسى الترمذي – كتاب فضائل القرآن – باب (14) – ج5 ص172 – طبعة دار الدعوة – استانبول – 1401هـ - 1981م . وقال عنه الترمذي (حديث غريب) .وحكم عليه الألباني بالضعف / انظر ضعيف الجامع الصغير وزيادته – محمد ناصر الدين الألباني – ص 12 –حديث 74 –الطبعة الثالثة 1410هـ - 1990 م – المكتب الإسلامي – بيروت .

(18) سورة فصلت – الآية (53) .

(19) الإسلام والكون – للدكتور عبد الغني عبود – ص 67 – دار الفكر العربي للطباعة والنشر – الطبعة الثانية 1982م .

(20) أستاذ ورئيس قسم الطبيعة بكلية البنات بجامعة عين شمس .

(21) الكون والإعجاز العلمي للقرآن – منصور محمد حسن النبي – ص 8 – دار الفكر العربي – 1401 هـ - 1981م .

(22) فقيه، مفسر، مصري، تخرج بالأزهر سنة 1918م، وتنقل في عدة وظائف، كان آخرها شيخاً للأزهر سنة 1958م، واستمر فيها حتى توفي، له عدة مصنفات، ولد سنة 1310هـ، وتوفي سنة 1383هـ الموافق 1963م. الأعلام- للزركلي ج7 ص173.

(23) سورة الأنعام ، الآية (38) .

(24) انظر : مجلة الرسالة – مقال للشيخ محمود شلتوت – العدد (408) ص 581 ، 580 ، وتفسير القرآن الكريم – الأجزاء العشرة الأولى " - الشيخ محمود شلتوت - ص11-13 – دار الشروق – بيروت ، القاهرة ، جدة – الطبعة السادسة 1394هـ - 1974م .

(25) مجلة الأزهر – لشهر صفر سنة 1368هـ - المجلد (20) – ص 164 – مقال للأستاذ أحمد الشرباصي .

(26) الكون والإعجاز العلمي للقرآن – ص 8 – مرجع سابق .

---

(27) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية – مصطفى صادق الرافعي – ص 206 – 207 – منشورات دار الكتاب العربي – بيروت ، لبنان – الطبعة التاسعة 1393 هـ - 1973 م .

(28) هو مصري الموطن فقط أما آباؤه وأجداده فليسوا مصريين، وأول من نزل منهم مصر جده لأبيه، وهو أحمد شوقي، ومنه ينحدر إلى شوقي الدم الكردي العربي الشركسي، سافر إلى فرنسا في بعثة علمية على نفقة الخديوي توفيق، له مؤلفات كثيرة بلغت العشرات، يغلب عليها الدراسات الأدبية والبلاغية والنقدية والشعرية ومنها في التراث وغير ذلك . انظر: شوقي ضيف شاعر العصر – للدكتور شوقي ضيف ص 9-15 – دار المعارف بمصر – الطبعة السابعة . وقائمة الكتب في نفس المرجع.

(29) يقصد به الإمام محمد عبده .

(30) سورة الرحمن وسور قصار " عرض ودراسة – للدكتور شوقي ضيف – ص 10 – منشورات دار المعارف بمصر – طبعة 1390 هـ .

(31) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، الطوسي ، أبو حامد ، حجة الإسلام ، فيلسوف متصوف ، له نحو مائتي مصنف ، ولد سنة 1450هـ، وتوفي سنة 505 هـ / الأعلام – خير الدين الزركلي – ج7 ص 22 – " قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين " – دار العلم للملايين – بيروت – الطبعة الرابعة 1979 م .

(32) خرجه العراقي في المغني ..بذيل كتاب الإ حياء – أبو حامد محمد الغزالي – ج1 ص91 – دار القلم للطباعة والنشر – بيروت – الطبعة الأولى .

(33) انظر : البرهان في علوم القرآن – محمد بن بهادر الزركشي – ج1 ص454 – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعرفة – بيروت – طبعة 1391هـ .

(34) إحياء علوم الدين - ج1 ص 255 – مرجع سابق .

(35) المرجع السابق – ج1 ص 256 .

---

(36) جواهر القرآن – لأبي حامد محمد الغزالي – ص 25 – منشورات دار الآفاق الجديدة – بيروت – الطبعة الرابعة 1979م .

(37) المرجع السابق – ص 26 .

(38) المرجع السابق – ص 27 ، 26 .

(39) انظر : التفسير والمفسرون – الدكتور محمد بن حسين الذهبي – ج2 ص474 – منشورات دار الكتب الحديثة – الطبعة الثانية 1396هـ -1976 م .

(40) هو محمد بن عمر بن الحسن التيمي الرازي، المعروف بالفخر الرازي، أبو عبدالله، مفسر، متكلم، فقيه، أصولي، حكيم، أديب، شاعر، خطيب، مشارك في كثير من العلوم الشرعية والعربية والحكمية والرياضية، له عدة تصانيف، ولد سنة 543هـ، وتوفي سنة 606هـ/ معجم المؤلفين- لعمر كحالة- ج11 ص79 – مرجع سابق .

(41) انظر : إتجاهات التفسير في العصر الراهن – للدكتور عبد المجيد المحتسب – ص 251 – مرجع سابق . والتفسير والمفسرون – للدكتور الذهبي – ج 2 ص484 – مرجع سابق .

(42) مفاتح الغيب – فخر الدين محمد الرازي – ج2 ص 116 – دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الثالثة .

(43) انظر : مثلاً على الاستطراد تفسير للآيتين (68 ، 69) من سورة النحل .

(44) تفسير البحر المحيط – لأبي حيان الأندلسي – ج1 ص341 – مطبعة السعادة – القاهرة – الطبعة الأولى – 1328هـ .

(45) تفسير القرآن الحكيم - المشهور بتفسير المنار- محمد رشيد رضا - ج1 ص7 – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – الطبعة الثانية .

(46) هو عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، جلال الدين، إمام، حافظ، مؤرخ، أديب، له نحو ستمائة مصنف، نشأ في القاهرة يتيماً، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا في روضة

المقياس على النيل، منزوياً عن أصحابه، فألّف أكثر كتبه، ولد سنة 849هـ، وتوفي سنة 911هـ/ الأعلام- للزركلي- ج3 ص301 .

(47) سورة الأنعام، الآية (38).

(48) سورة النحل، الآية (89).

(49) سبق تخريجه عن الترمذي في المبحث الأول .

(50) الاتقان في علوم القرآن – جلال الدين السيوطي - ج2 ص125، 126 – بهامشة كتاب إعجاز القرآن للباقلاني – دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت .

(51) المرجع السابق - ج2 ص129، 130 .

(52) الكشاف – لمحمود بن عمر الزمقشلي - ج2 ص17 – دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت

(53) المرجع السابق ج2 ص424

(54) سورة النساء، الآية (78).

(55) مدخل إلى موقف القرآن الكريم من العلم، – الدكتور عماد الدين خليل – ص19 – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الأولى 1400 هـ - 1983 م .

(56) "التفسير العلمي للقرآن الكريم بين النظرية والتطبيق"- هند شلبي - ص48، 49.

(57) هو عالم، حكيم، أديب، مشارك في أنواع من العلوم، مصري التحق بالجامع الأزهر، وتخرج بدار العلوم ودرّس بها وبغيرها، تعلم اللغة الانجليزية، وألقى محاضرات في الجامعة المصرية، له مؤلفات كثيرة، ولد سنة 1287هـ، وتوفي سنة 1309هـ/معجم المؤلفين - عمر كحالة- ج5 ص42.

(58) الجواهر في تفسير القرآن الكريم – طنطاوي جوهري - ج1 ص3 – منشورات المكتبة الإسلامية في القاهرة – الطبعة الثانية – 1350هـ.

---

(59) انظر كتابه : القرآن والعلوم العصرية – مطبعة مصطفى الباب الحلبي وأولاده بمصر – الطبعة الثانية – 1371هـ - 1951م .

(60) سورة آل عمران، الآية (6).

(61) سورة الرحمن، الآية (7).

(62) الجواهر في تفسير القرآن الكريم - ج1 ص237، 238. – مرجع سابق .

(63) مجلة الأزهر - لشهر جمادى الأولى 1380هـ - المجلد (32) ص465 – مقال للأستاذ محمد رجب البيومي.

(64) فقيه، مفسر، متكلم، حكيم، أديب، لغوي، كاتب، صحافي، سياسي، ولد بمصر، وتعلم بالجامع الأحمدي بطنطا ثم بالأزهر، وعمل في التعليم، وتولى تحرير الوقائع المصرية، وشارك في مناصرة الثورة العرابية، وقد نُفي إلى بلاد الشام، وسافر إلى باريس، وأصدر مع جمال الدين الأفغاني جريدة العروة الوثقى، ثم عاد إلى مصر، وتولى منصب القضاء، ثم جُعل مستشاراً في محكمة الاستئناف، فمفتياً للديار المصرية، له عدة مصنفات، ولد سنة 1266هـ، وتوفي سنة 1323هـ - معجم المؤلفين/ عمر كحالة ج11 ص126.

(65) انظر: التفسير والمفسرون - للذهبي ج2 ص567 – مرجع سابق .

(66) اتجاهات التفسير في العصر الراهن - ص129، 130 – مرجع سابق .

(67) سورة الشمس، الآية (5).

(68) تفسير جزء عم – الإمام محمد عبده - ص73 – راجعه على الرسم العثماني الشيخ عامر السيد عثمان – مطابع الشعب .

(69) انظر : المرجع السابق – ص 120 .

(70) انظر "فقه السيرة" للدكتور محمد سعيد البوطي - ص23-26 – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الطبعة السابعة – 1398هـ - 1978م.

---

(71) مفكر إسلامي، مصري، من مواليد قرية "موشا" في أسيوط، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة، وعمل في جريدة الأهرام، وكتب في جريدتي الرسالة والثقافة، تنقل في عدة وظائف بوزارة المعارف، ثم أوفد في بعثة لدراسة "برامج التعليم" في أمريكا سنة 1948م- 1951م، ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتمشى مع الفكرة الإسلامية، وبنى على هذا استقالته سنة 1953م، وانضم إلى الإخوان المسلمين وترأس قسم نشر الدعوة، وتولى تحرير جريدتهم، وسُجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه إلى أن صدر الأمر بإعدامه فأعدم، له مصنفات كثيرة، أبرزها كتابه "في ظلال القرآن"، ولد سنة 1324هـ، وتوفي سنة 1387هـ - الأعلام - للزركلي- ج3 ص147.

(72) سورة الرحمن، الآية 14.

(73) "في ظلال القرآن " – سيد قطب - ج6 ص3451- دار الشروق – بيروت والقاهرة – الطبعة التاسعة 1400 هـ - 1980 م.

(74) هو رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ومولده ووفاته ودراسته بها، عُيِّن عام 1932م شيخاً للإسلامعلى المذهب المالكي ، ولد سنة 1296هـ وتوفي سنة 1393هـ/ الأعلام -للزركلي- ج6 ص174.

(75) تفسير التحرير والتنوير – محمد الطاهر بن عاشور - ج1 ص127 – مرجع سابق .

(76) سورة النساء، الآية (82).

(77) سورة هود، الآية (49).

(78) تفسير التحرير والتنوير- ج1 ص129- مرجع سابق .

(79) هو السيد الشريف محمد بن السيد متولي شعراوي ، أبو سامي، الحسيني نسباً، والشعراوي نسبة إلى مضيق في السعودية اسمه مضيق الشعراوي، كان أجداده قد قدموا منه فنسبوا إليه، واشتهر بين الناس بهذه النسبة إلى بلدته وهو الشعراوي، عمل وزيراً للأوقاف بمصر، وله تفسير مطبوع، توفي رحمه الله سنة 1419 هـ ، الموافق 1998م. انظر: منهج

الشعراوي في التفسير رسالة ماجستير غير منشورة للطالب : إبراهيم عيسى صيدم ص 40، 62 – قسم التفسير بكلية أصول الدين – الجامعة الإسلامية بغزة .

(80) المنتخب في تفسير القرآن الكريم – محمد متولي الشعراوي - ص16 – دار العودة للطباعة والنشر – بيروت 1980 م .

(81) المرجع السابق ، ص43.

(82) سورة فصلت ، الآية (53).